

إلا الشيطان فيقبل الشجر فينثر عليه
من رُطْبِهِ، ثم يمضي تبارك الله فيكون
في مفارسه

وكان للنسوة من جميع القرى
المجاورة يقبلن إلى كوخ الشيخ فيلصقن
به حتى يتأذن فيشفي مرضاهن
ويذهب أوصابهن؛ وهو في كل ذلك

لا يتجشم شيئاً، إلا رقية ينقشها في أذن المريض
أو المريضة، أو تيممة يُنمنن حروفها المرتبكة بماء
البصل ثم يجملها في جيد الغادة أو ظهر الفتى الأمرد
فيهرول سليماً معافى بإذن الله

وكان معروفاً مع ذلك بالثقي والصلاح، ولم يكن
أحد يعرف غرامه بالخمر، ولا ولوعه بالموسيقى،
ولا سبها النأي. وكان فوزان حصيفاً حازماً، فكان
يستعين على هذين بالكتمان

ركب إذن في الزورق ومعه نايه وزجاجة، ثم
هم، فهمهمت حوله أطيان الملوك الفُر والغنية
الصبيد من أبناء بابل... وتبسم القمر الساخر
وأخذ يسطع بشدة فوق العمامة المسكورة والعباءة
البيضاء... وفي وسط الفرات، بدا للشيخ أن
يتشبه بالملك بختنصر، فرفع المجاديف وأوقف الزورق
ثم جذب الفُدام ووضع الزجاجة في فيه حتى ارتوى.
وما هي إلا لحظة حتى استدار رأسه وبرق القمر
في عينيه، وامتلأ النهر حوله بالجَنِيَّات الجيلات
ومع ذلك كله لم يغب صواب الشيخ، ولم يضع
من حلمه شيئاً، بل هم مرة أخرى بالزورق فلم يزل
به حتى بلغ شاطئ بابل فنزل فيه، ومعه الناي
والزجاجة

سَجَرُ بَابِلَ

اقصُوصُ شَرْقية
بقلم الأستاذ دُرَيْخُ شَيْخَة

كان القمر الساهر يسكب ذَوْبَ فضته على
أطلال بابل الناعمة فوق عُدْوَةِ الفرات الشرقية،
حينما خرج الشيخ فوزان من كوخه الجائم فوق
العُدْوَةِ الغربية، ميمًا شطر المرفأ الساكن، ليركب
في الزورق الذي اعتاد أن يحمله في عرائس الليالي
الغربية المقمرة إلى عذراء حمورابي^(١) الراقدة تحت
أضواء الزمان

وكان الليل البابلي الرائع مفعماً بالذكريات،
وكان في كل حَبَّةٍ من كَبَّين القمر المنتثر في
صفحة الفرات طيف من أطيان البابليين والآشوريين
والأكاديين والكلدان يسبح خلف الزورق،
أو يرقص فوق السُّكَّان، أو يحلق في عُمرَةٍ
للشيخ فوزان... هذا الشيخ المجيب الذي افتتن
به الشعب، وانمطت إليه أهددة الخلق، وسُحرت
بخوارقه قلوب الناس

لقد كان الشيخ فوزان يلعب بالأفاعى السامة
ذوات القرون فما نصيبه، وما تلحق به أذى؟ وكان
يرسل النظرة الحادة من عينيه الصارمتين فيحرك
بها الصخر عن موضعه، ويلوى بها أعنة الدواب
في سيرها... وكم من مرة تغم بكلمات لا يفهمها

(١) حمورابي مؤسس مجد بابل وصاحب مجموعة الشرائع

لحب أزرق ينبعث من بينهما ، وشرر كبير
ينفدح من عيونهما ومنخريهما

وتبسم فوزان مع ذلك ... وحسب أن مارأي
وما سمع إن هو إلا تهاول مما تصنع الخمر برؤوس
الخمورين ... ثم أراد أن ينصرف ، فالتفت بمباهته ،
وحمل نايه وزجاجته ... وما كاد يخطو خطوتين حتى
سمع أحد الشبحين يقول وهو يبكي : « رباه ! رباه !
تبت إليك ، وندمت على ما فعلت ، وإلا تنفرد لي
أكن من الهالكين ! » . ثم سمع الآخر يقول :
« يارب ! وسمت رحمتك كل شيء فكيف تضيق بما
حملتنا ؟ اللهم لقد أعذرنا الناس تخفف عنا ! »

تخافت فوزان بالحديث إلى نفسه : « ما هذا ؟
ماذا أسمع ؟ تالله لأعودن وليكونن لي مع هذين
حديث ... أبدأ ما صنعت الخمر بي مثل هذا أبدأ ! »
وعاد إلى مكانه ، وهدأ من روعه ، ثم حيا
الشبحين بتحية الإسلام فرداها وأحسنا ، وعادا
إلى ما كانا فيه من شجور وشكو

— نَشْدُ تَسْكَا اللهُ يَا صَاحِبِي أَنْ تَقْصَا عَلَيَّ
قَصَصَكَ !

— عُدْ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ حَيْثُ قَدِمْتَ ... فَا
أَنْتَ وَمَا نَحْنُ فِيهِ !

— لَقَدْ سَمِعْتُ أَحَدَكُمْ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُهُ ،
وَسَمِعْتُ الْآخَرَ يَسْتَعْتِبُهُ ، فَمَا ذَاكَ أَتَابَكَ اللَّهُ وَخَفَفَ
عَنْكَ !

ونظر إليه الذي سمعه يستعتب الله فتأفف ثم قال :

— اذْهَبْ لِحَاكِ اللَّهُ يَا مَفْتُونٌ ...

— مَفْتُونٌ ؟ ... لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا بِذَاكَ !

وسرى بين الأطلال الشاخصة حتى باغ آثار
البرج الكبير فخلع عباءته ، وفرضها فوق حجر عظيم
من حجارة الرمر الملقى هنالك ، ثم جلس يحتمس
النسطف الأخيرة الباقية في الزجاجية

وتناول نايه ، وطفق ينفخ فيه ... وخيل له
أن المدينة الميتة قد انتفضت تحت الثرى وهبت
من سباتها الطويل ، وأرهفت آذانها لتسمع
وتتطرب ، فنلا الشيخ في النفخ ، ولم يبال أن
تضج رفات الموتى الباليين

ثم سكت قليلا ، وتواري القمر الساخر وراء
سحابة رقيقة فشاعت في الوجود رهبة طارئة ،
وأمسكت القمر أنفاسها ، ثم ما هي إلا لحظة حتى
رجفت الراجفة تحت بابل فتهايلت أوتادها واهتزت
جوانبها وتشققت عن كل جبار عنيد

وظن فوزان أنه يحلم ففرك عينيه وحلق في
الآثار المضطربة أمامه ، لكنه رآها ترقص رأى
العين ، فأيقن أنه البلاء من الله ، فتشهد وسبح
باسم ربه ، وندم على ما عصى أمر الخالق من معاقرة
بنت الحان في مثل ذلك المكان ، الذي لم يكن يصلح
إلا للمعزة والادكار ، والتفكر في أمر هذه الدنيا
الفانية التي تضج أحيانا بصولة الأمراء وجبروت
الملوك ، ثم ينفذ الأمراء والملوك إلى أعماق رموسها
فهم في بطونها حديث مروي وذكري صامتات

ثم انشق بطن بابل فجأة ، فصعد منه جداران
عظيمان علق بينهما شبحان هائلان ذوا أجنحة
مثنى وثلاث ، وقد ربطت أقدامهما بأمراس من
نار ، وتدلى الرأسان العظيمان إلى أسفل ، وجعل

ملكاً يا صاحبي ، فكيف شربنا هذا الاثم ؟
 — لذلك قصة طويلة فامض عنا هداك الله ،
 وخلصنا فيما نحن فيه من ذاك البلاء
 — لا والله لا أفعل حتى أسمع منك ، لأروى
 المسلمين لعلهم يهتدون
 — ومن المسلمون هداك الله ؟
 — المسلمون ! ألا تعرفان من المسلمون وأنتم
 مع ذاك تذكران أنكم ملكان من ملائكة الله ؟
 — يا أخانا ! إنما ما زلنا إلى الأرض إلا في زمان
 لإدريس عليه السلام ، ونحن في ذاك العذاب منذ
 ذاك الأوان !
 — وبمحا ! إذن فاعلم أن المسلمين هم أمة محمد
 صلى الله عليه وسلم !
 — أو قد بعث محمد ؟
 — بعث محمد وانتشر الاسلام في المشرقين
 والغربين !
 — ومنذ كم بعث محمد رضوان الله عليه ؟
 — منذ ثلاثة عشر قرناً
 — ياربنا لك الحمد . . إذن لن يطول عذابنا !!
 — والله ؟
 — لأننا كنا نعرف ونحن في السماء أن محمداً
 لا يرسل إلا في آخر الزمان
 — صلى الله على محمد وعلى آله وسلم
 — أفأنت مسلم من أمة محمد يا أخانا ؟
 — مسلم وابن مسلم والله الحمد
 — وهذه الزجاجة ؟ ألم ينهكم محمد عن الخمر ؟
 — لا حول ولا قوة إلا بالله ! نهانا الله

— وما تلك يمينك يا رجل ؟
 — هذه ... ؟ هذه زجاجة !
 — ألق بها وانج بنفسك يا سكين !
 — وماذا على منها أيدك الله ؟
 — عليك منها ما تراءا الآن فيه يا مخبول !
 — لست أفهم !
 — أبكما شرب صاحبه : أنت أم الزجاجة ؟
 ألق بها وتب إلى الله ، وآل على نفسك ألا تقارفها
 قط ، واحمد الله على أن رأيتنا في هذا العذاب بسببها
 اكسرها يا أتمس خلق الله ؟
 — ولكن ...
 — ياربنا آمنا بك ، وندمنا على خطايانا ...
 آه ؟ وأحرأه !
 — ألا تذكران لي من أنتم أنابكم الله وخفف
 عنكم !
 — إذهب .. إمض بها أيها الخاسر فسيسحكتك
 الله !
 — ولكن ... من أنتم ؟
 — لن تصدق إذا ذكرنا لك !
 — وكيف ؟
 — إذن ... نحن مَلَكَان !
 — من ملائكة الله ؟
 — جاهل وغبي ... وهل لغير الله ملائكة
 يا أحبيم ؟
 — وبم طردكم الله من سمائه ؟
 — بهذه التي في يمينك !
 — وى ! والله لا ذقتها بعد اليوم أبداً ! ولكنكم

عن الخمر في كتابه الكريم ١

— وفيه شربك الخمر أيها الفاسق إذن ؟

— عفا الله عني يا صاحبي ، لقد كنت أقول
إنها أهون المحرمات ١١

— وى ١ لقد وقع المسلمون فيما وقعنا فيه
يا هاروت ١١

— أجل ١ لقد قالوها كما قلناها يا حبيبي ماروت ١

وشده فوزان حبنا سمع الملكين يتناديان بهذين
الاسمين ، وسرت في جسمه قشعريرة باردة أبرد من
قشعريرة الموت ، ثم لم يملك إلا أن ركع أمامها
وطفق يبكي ويتضرع ويطلب الصفح والمغفرة

— يا هذا أنت مسلم وتركع لغير الله سبحانه ؟
وخجل فوزان فانتصب واقفاً ثم قال :

— أأنما هاروت وماروت حقاً يا صاحبي ؟
— أجل أنا هاروت وهذا أخى ماروت

— ويلكما ١١ لقد ذكركما الله في كتابه إلى

محمد ١

— ذكرنا الله في القرآن ؟ وعمرك الله ماذا
قال سبحانه ؟

— قال تعالى : « ولا جاءهم رسول من عند
الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الدين أوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون
واقيموا ما تلتو الشياطين على ملك سليمان وما كفر
سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس
السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ،
وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة

فلا تكفر ، فيتملون منهما ما يفرقون به بين المرء
وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ،
ويعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن
اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا
به أنفسهم لو كانوا يعلمون » صدق الله العظيم

— صدق الله العظيم يا أخانا المسلم ... صدقت
يا الله ١ صدقت ياربنا ١ اللهم فرج كربنا واقبل توبتنا
واغفر ذنوبنا واعف عنا يا أرحم الراحمين ١

واستخرط الملكان في البكاء . فتنظر فوزان
حتى فاء ، ثم سألهما :

— نشدتكما الله إذن إلا ما أخبرتماني بما وقع
لكما ، مما استوجب طردكما من السماء ، وكتب
لكما سوء ذاك المآل ١

— أعلم يا أخانا أن الملائكة^(١) لا رأوا ما يصعد
إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة
وذلك في زمن إدريس عليه السلام ، عيروهم بذلك
وأنكروا عليهم ، وقالوا لله سبحانه : هؤلاء الذين
جعلتهم خلفاء في الأرض واخترتهم فهم بمصونتك
فقال تعالى : لو أنزلناكم إلى الأرض وركبت فيكم
ماركبت فيهم لفلتم مثل ما فعلوا . قالوا : سبحانه :
ربنا ما كان ينبغي لنا أن نعصيك . قال الله سبحانه .
اختاروا إذن ثلاثة من خيالكم . وأسفاه علينا ؟ ١
اللهم لا حول ولا قوة إلا بك يارب ١

قال ذلك وتفصد المرق من بدنه كالمهل ، ثم
أن أنينا مؤلماً وقال :

— وسوء طالعى وطالع أخى ماروت اختارنا

(١) الرواية هنا عن ابن إسحاق بتصرف قليل

— لا عليك ققل !

— اختصمت إلينا يوماً امرأة مقتان يقال لها ناهيد^(١) ، فأكدنا نراها حتى أخذت بقلبينا ... فـ ... فراودناها عن نفسها فأبت وانصرفت ؛ ثم عادت في اليوم الثاني ففعلنا مثل ذلك فقالت : لا ! إلا أن تمبدا ما أعبد ، وتصلبنا لهذا الصنم ، وتقتلا خصمى الذى شكوت إليكما ، وتشربا مئ من هذه الخمر . فقلنا لها : لا سبيل إلى هذه الأشياء فان الله قد نهانا عنها . فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعهما قدح من الخمر ، وفي نفسها من الميل إلينا ما فيها ، فراودناها فأبت ، وعرضت علينا ما قالت بالأمس ... فنظرت إلى أخى ماروت ونظر أخى ماروت إلى ، وقلت له وقال لى ، ثم قلنا : إن الصلاة لغير الله أمر عظيم ، وقتل النفس أمر عظيم كذلك وأهون الثلاثة شرب الخمر ، فشربت لا هنيئاً ، وشرب أخى ... وشاعت فينا مُحَبَّياتها فطمس الله بصائرنا ، وارتكبنا كل الآثام التى نهينا عنها !

ولما بلغ هاروت من القول هذا الحد أخذه برحاء العذاب فصرخ وصرخ ماروت مثله ، ولبثا في ألم وتبريح ساعة كان فوزان يصلى من أجلهما أثناءها ، فلما فاء وصل هاروت حديثه فقال :

— أرايت يا أخانا ما صنعت الخمر بنا ؟ لقد قلنا مثلك إنها أهون الشرور فحسوناها فأوقمتنا في جميع الشرور ، فاحذرنا ، ولنكن لك فينا أسوة — إي وربى لن أذوقها بعد الليلة قط . ولكن

الملائكة واختاروا ثالثاً لنا أخانا عزريائيل . وكنا ثلاثتنا من أتقى الملائكة وأكثرهم ورعاً ، بيد أن عزريائيل كان أحصف منا وأكيس ، فكتب الله له السلامة ، وكتب علينا الشقاء فبؤنا بهذا الخزى الذى ترى !

— لست أفهم ياهاروت فأفصح خفف الله عنك !

— سأذكر لك فلا تمجّل ... أوه ، النار

تدب في عروق فالهم غفراً وتخفيفاً !

— خفف الله عنك ياهاروت ؟

— لا كتب الله مثلاً لك يا صاح ! .. أقول :

ثم إن الله سبحانه ركب فينا الشهوة الملعونة التى ركبها فيكم يابنى آدم ، وأهبطنا إلى الأرض ، وأمرنا أن نحكم بين الناس بالحق ، ونهانا عن الشرك والقتل بغير الحق ، والزنا ، وشرب الخمر .. فأما عزريائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه ، وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله ورفعه ، وسجد أربعين سنة ، ثم رفع رأسه ، ولم يزل بعد ذلك مطاطئاً رأسه حياء من الله تعالى ... ألا ما أسعده ! ألا ما أسعده !

— وأنتما ياهاروت ، ماذا أصابكما ؟

— كل ضئير وكل شر يخطر أو لا يخطر على

قلوبكم أيها البشر ! لقد لبثنا شهراً أو نحوهم نحكم بين الناس بالعدل ، فإذا أمسينا ، ذكرنا اسم الله الأعظم وصعدنا إلى السماء . ثم افتتنا بعد ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

— وكيف !

— لشد ما أخجل أن أذكر لك !

(١) هي فينوس اليونانية . وناهيد هو اسمها الفارسي . والزهرة اسمها العربى

ونقول لهم : (إنما نحن فتنة) ، بيد أنهم ما كانوا يسمعون ، وهل سمع الناس إلى ما أتاهم على رسل الله ؟
 — كلا والله إلا الأقلون ! ولكن يا صاحبي ،
 نشدتكما الله إلا ما علمتاني مما علمكما الله ؟
 — آء يا هالك ! وأنت مع ذلك تحفظ كتاب الله
 وقد رأيت ما نحن فيه ؟
 — علماني نشدتكما الله !
 — كلا ! بل أنت تنشدنا الشيطان ! إذن
 فاجلس نملك ما بقصم الله به ظهرك في الدنيا
 والآخرة ...

وما كاد يفعل حتى زلزلت بابل زلزالها ومادت
 أحجارها ، وأطبقت الأرض على هاروت وماروت .
 وفرك الشيخ فوزان عينيه وهو ينظر إلى القمر ،
 ثم قبض على الزجاجة وخطب بها رأس تمثال فتشمت
 وأخذ نايه فخطمه ، وعاد إلى زورقه ، وتوضأ من
 للفرات وصلى لله ، وأقسم ليكونن أزكى خلق الله ،
 وأن يهجر الخمر والسحر ... وقد فعل

دربني فضيلة

تحت الطبع :

حياة الرافعي

للاستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى
 إدارة الرسالة ، أو إلى المؤلف بعنوانه :

شبرا مصر - شارع مسرة رقم ٦

نمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

حدثني عفا الله عنك يا هاروت ، كيف آل أمركما إلى
 ما أرى ؟
 — حاولنا أن نصعد إلى السماء بعد إذ أئنا إئنا
 فلم تطاوعنا أجنحتنا ... وحقت علينا لعنة الله بما
 زيننا وعبدنا صنم فاهيد وقتلنا رجلاً منكراً رأانا ونحن
 نصنع أولئك نخشينا أن يشهد علينا فيفضحنا ،
 كأنما نسينا أن الله كان معنا وهو بكل شيء محيط !
 — ثم ...

— ثم شق علينا ما حل بنا ، وكان إدريس
 نبي الله على مقربة منا فتوجهنا إليه ، وقلنا له :
 يا إدريس : إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل
 ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى الله ...
 وشفع لنا إدريس ، وجاءه الوحي بخبرنا بين عذاب
 الدنيا نحتله ونصبر عليه ، وبين عذاب الآخرة
 يكون سرمداً ... فأثرنا عذاب الدنيا لأنه يذنب ،
 ولأنه أخف وأهون

— أو هذا الذي نعتبانه أخف من عذاب
 الآخرة وأهون ؟

— وماذا رأيت من عذابنا ؟ أو اه لو رأيتنا
 نعذب بسيطر زبانية كزبانية جهنم ، أو لو رأيتنا
 نرجم بحجارة مسومة وشواظ من نحاس !
 — وناهيد يا هاروت ! ماذا كان من أمرها
 بعد ذلك ؟

— واأسفاه ! لقد علمناها الاسم الأعظم
 فصعدت به إلى السماء فسخها الله كوكباً كلما غرب
 انشق بطن بابل علينا كما ترى !

— خفف الله عنكما يا صاحبي وعفا عنكما ...
 ولكنكما كنتم تملكان الناس السحر ، فما ذلك
 أنابكما الله ؟
 — كنا نفعل ، وكنا نحذر الناس مما نعلمهم